

سورة الأنعام

٢٥ - قوله تعالى : ﴿ قَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ۖ

ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝١٦﴾

القراءة : قراءة الجمهور بنصب " والشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا " . وروى ابن خالويه بإسناد محذوف أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قرأ : " والشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا " نصباً^(١) . وقرئ " والشَّمْسَ وَالْقَمَرَ " بالجر فيهما ، وهي قراءة يزيد بن قطيب السكوتي ، وأبي حيوة بالخفض عطفاً على اللفظ^(٢) . وقال الزمخشري في قوله تعالى : " والشَّمْسَ وَالْقَمَرَ " قرئاً بالحركات الثلاث . فالنصب - قلت - وهي قراءة الجمهور ، على إضمار فعل دل عليه جاعل الليل ، أي وجعل الشمس والقمر حُسْبَانًا ، أو يعطفان على محل الليل ، فإن قلت : كيف يكون الليل محل ؟ والإضافة حقيقية ؟ لأن اسم الفاعل المضاف إليه في معنى الماضي ، ولا تقول : زيد ضارب عمراً أمس . قلت : ما هو في معنى الماضي ؟ وإنما هو دال على جعل مستمر في الأزمنة المختلفة ، وكذلك

(١) انظر : مختصر شواذ القرآن ص : ٤٤ .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٧ / ٤٥ ، وتفسير البحر المحيط ج ٧ / ١٩١ . والدر المصون

فالق الحب ، وفالق الإصباح كما تقول : الله قادر عالم ، فلا تقصد زماناً دون زمان .
والجر عطف على لفظ الليل عند من قرأ " وجاعلُ الليل " . خفض الليل للإضافة إليه .
والرفع على الابتداء والخبر محذوف تقديره " والشمس والقمر مجعولان حساباً أو
محسوبان حساباً " ، والحُساب جمع الحساب كشُهبان في جمع شهب ، أي تجرى
بحساب ، هذا قول ابن عباس ، وقتادة ، والسَّدي ، ومجاهد . وقال الشوكاني :
والحساب الاسم ، وقيل : الحساب بالضم ، مصدر حسب بالفتح ، والحسبان
بالكسر مصدر حسب . والمعنى : جعلهما محل حساب تتعلق به مصالح العباد وسيرهما
على تقدير : لا يزيد ولا ينقص ليدلَّ عباده بذلك على عظيم قدرته وبديع صنعه ،
وقيل : الحسبان : الضياء ، وفي لغة : أن الحسبان : النار ، ومنه قوله تعالى :
" ويرسل عليهم حساباً من السماء " [سورة الكهف / ٤٠] . وقال الزجاج : النصب
في الشمس والقمر هي القراءة ، والجر جائز على معنى : وجاعل الشمس والقمر
حساباً ، لأن في جاعل معنى جعل ، وبه نصبت سكتاً ولا يجوز : " جَاعِلُ الليلُ
سكتاً ، لأن أسماء الفاعلين إذا كان الفعل قد رفع أضيفت إلى ما بعدها لا غير .
تقول : هذا ضاربٌ زيدٍ أمس ، فإجماع النحويين أنه لا يجوز في زيد النصب ، وعلى
ذلك أكثر الكوفيين ^(٣) .

(٣) انظر : الكشف ج ٢ / ٤٩ / ٥٠ ، ومعاني القراءات للأزهري ص : ٣٧٢ / ٣٧٣ ، والمحرم الوجيز
ج ٢ / ٣٢٦ ، وروح المعاني للألوسي ج ٥ / ٤٨٥ ، ومعاني القرآن للأخفش ج ٢ / ٢٨٢ ،
وفتح القدير للشوكاني ج ٢ / ١٣٦ ، وتفسير البحر المحيط ج ٧ / ١٩١ ، والجامع لأحكام القرآن
للقرطبي ج ٧ / ٤٥ / ٤٦ ، ومعاني القرآن وإعرايه للزجاج ج ٢ / ٢٧٤ . والدر المصون
ج ٣ / ١٣٣ / ١٣٤ .

٢٦ - قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ دَرَسَتْ﴾ (١٠٥)

القراءة: اختلف القراء في إدخال الألف وإخراجها من قوله تعالى: "دَرَسَتْ" فثلاث قراءات في المتواتر. فقرأ ابن كثير، وأبو عمرو "دَارَسَتْ" بألف بزنة قابلت أنت. وقرأ ابن عامر، ويعقوب "دَرَسَتْ" مفتوحة السين ساكنة التاء بغير ألف بزنة ضَرَبَتْ، وقرأ الباقون، نافع، وعاصم، وحمزة، والكسائي "دَرَسَتْ" ساكنة السين بغير ألف بزنة ضَرَبَتْ أنت^(٤).

وروي أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قرأ "دَرَسَتْ" ساكنة السين وفتح التاء. وقد قرأ بهذه القراءة نافع، وعاصم، وحمزة، والكسائي. فقد روى الحاكم بإسناد صحيح فقال: أخبرني أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد المقرئ، ثنا أحمد بن زيد بن هارون القزاز بمكة، ثنا أحمد بن القاسم بن أبي بزة، أنبأ وهب بن زمعة، عن أبيه، عن حميد بن قيس الأعرج، عن مجاهد، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، عن أبي بن كعب، رضي الله عنه، قال: أقرأني النبي، صلى الله عليه وسلم: "وليقولوا دَرَسَتْ" يعنى يجزم السين ونصب التاء. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه^(٥) وقال الذهبي: صحيح. وقد قرئ هذا الحرف في الشاذ

(٤) انظر: السبعة ص: ٢٦٤، والحجة لأبي علي الفارسي ج ٣ / ٣٧٣، والكشف ج ١ / ٤٤٣، ومعاني القرآن للأخفش ج ٢ / ٢٨٥، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ج ٢ / ٢٨٠، والتيسير ص: ٨٧، وإعراب القراءات الشواذ ج ١ / ٥٠٤ / ٥٠٥، والكنز في القراءات العشر ص: ١٥٥، وتفسير البحر المحيط ج ٤ / ٢٠٠، والدر المصون ج ٣ / ١٥٢ / ١٥١، وفتح القدير للشوكاني ج ٢ / ١٤٢، والكشاف ج ٢ / ٥٥، والتبصرة ص: ١٩٦ / ١٩٧، والنشر في القراءات العشر ج ٣ / ٥٨.

(٥) أخرجه الحاكم في: كتاب التفسير، باب قراءات النبي، صلى الله عليه وسلم، مما لم يخرجاه وقد صح سنده ج ٢ / ٢٣٨ / ٢٣٩.

عشر قراءات أخر فاجتمع فيه ثلاث عشرة قراءة أذكرها مع التوجيه . فقرأ ابن عباس بخلاف عنه ، وزيد بن علي ، والحسن البصري ، وقتادة ، " دُرِسْتُ " فعلاً ماضياً مبنياً للمفعول مسنداً لضمير الآيات ، وفسرها ابن جني ، والزحشري ، بمعنى أن يراد عفيت أو تليت . وقال الزحشري : بمعنى قرئت أو عفيت ، أما بمعنى " قرئت " فظاهر ، لأن دَرَسَ بمعنى كرّر القراءة ، وأما " دَرَسَ " بمعنى بلي واثمحي فلا أحفظه متعدياً وما وجدناه في أشعار من وقفنا على شعره إلا لازماً . وقرئ " دُرِسْتُ " بالتشديد والخطاب أي درست الكتب القديمة ، ويحتمل أن تكون للتكثير أي : دَرَسْتُ الكتب الكثيرة ، كدُبِحَتِ الغنم ، وقَطَعَتِ الأثواب . وقرئ : " دُرِسْتُ " كالذى قبله إلا أنه مبنى للمفعول أي : درسك غيرك الكتب ، فالتخفيف للتعدية ، لا غير . وقرئ " دُرِسْتُ " بالتخفيف والواو مبنياً للمفعول ، والواو مبدلة من الألف في دارست . بمعنى : دارسك غيرك . وقرأت فرقة " دارسْتُ " بناء ساكنة للتأنيث لحقت آخر الفعل . أي : دارستك الجماعة الذين تتعلم منهم . وجاز الإضمار لأن الشهرة بالدراسة كانت لليهود عندهم ، ويجوز أن يكون للآيات وهو لأهلها . أي : دارس أهل الكتاب . وقرأت فرقة " دُرِسْتُ " بفتح الدال وضم الراء مسنداً إلى ضمير الآيات ، أي : مبالغة في دَرَسْتُ بمعنى بليتْ وقُدِّمَتْ واثمحت أي : اشتد دروسها ويلاها . وقرأ أبي " دَرَسَ " أي محمد أو الكتاب وهى في مصحف عبد الله . وروى عن الحسن " دَرَسَنَ " فعلاً ماضياً مسنداً لنون الإنث هي ضمير الآيات . وقرأت فرقة " دَرَسَنَ " بتشديد الراء مبالغة في " درسن " . بمعنى : اشتد بلاها ودروسها . وقرئ : " دراسات " جمع دراسة بمعنى قديمات ، أو بمعنى : ذات دروس ، نحو : عيشة راضية . فهذه ثلاثة عشرة قراءة في هذه الكلمة ^(٦) .

(٦) انظر : تفسير البحر المحيط ج ٤ / ٢٠٠ ، والدر المصون ج ٣ / ١٥١ ، والكشاف ج ٢ / ٥٥ =

أما توجيه القراءات المتواترة لهذا الحرف فهي كالتالي : فحجة من قرأ "دَرسَتْ" بألف أي : دارست أهل الكتاب وذاكرتهم ، ويقوي ذلك "إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون" [سورة الفرقان / ٤] . أي : يقولون أعان اليهود النبي ، صلى الله عليه وسلم ، على القرآن وذاكروه فيه ، وهذا كله قول المشركين في النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في القرآن . قال أبو علي الفارسي : فإن قيل : ليس في المصحف ألف ، فإن الألف قد تُحذف في المصحف في نحو هذا ، ويقوي ذلك قوله : "وقالوا أساطير الأولين أكتبها فهي تملي عليه بكرة وأصيلا" [سورة الفرقان / ٥] .

وحجة من قرأ "دَرسَتْ" مفتوحة السين ساكنة التاء ، فهي من الدُّروسِ الذي هو : تعفي الأثر ، وأمحاء الرُّسم . وأنه أسند الفعل إلى الآيات . فأخبر عنهم أنهم يقولون : عَفَتْ وَاَمَحَتْ وَتَقَادَمَتْ ، ودل على ذلك قوله : "قالوا أساطير الأولين" أي : هو شيء قديم ، قد عفا وأمحى رسمه لقدمه . وحجة من قرأ "دَرسَتْ" بفتح التاء وسكون السين ، أنه أضاف الفعل إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فأخبر عنهم أنهم يقولون : درس محمد الكتب ، كتب الأولين ، فأتى بهذا القرآن منها . وقال أبو علي الفارسي : وذلك أن أُبَيًّا ، وابن مسعود فيما زعموا قرأ درس "وأسند الفعل فيه إلى الغيبة ، كما أسندنا إلى الخطاب ، وهو فَعَلٌ ، من : دَرسْتُ ، كما أنَّ دارسِتَ فاعَلَتْ منه . وقد رجح الأخفش هذه القراءة - دَرسَتْ - وقال : وبها نقرأ لأنها أوفق الكتاب ، وقال بعضهم "دَرسَتْ" (٧) .

= ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ج ٢ / ٢٨٠ ، وإعراب القراءات الشواذ ج ١ / ٥٠٤ / ٥٠٥ / ٥٠٦ / ٥٠٧ ، وإتحاف فضلاء البشر ج ٢ / ٢٥ ، وفتح القدير للشوكاني ج ٢ / ١٤٢ / ١٤٣ .
(٧) انظر : الكشف ج ١ / ٤٤٤ ، والحجة لأبي علي الفارسي ج ٣ / ٣٧٤ / ٣٧٥ ، ومعاني القرآن للأخفش ج ٢ / ٢٨٥ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ج ٢ / ٢٨٠ ، وتفسير البحر المحيط ج ٤ / ٢٠٠

٢٧- قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١٥٣)

القراءة : قراءة الجمهور : " وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ " وروى أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قرأ " وَلَا تَتَّبِعِ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ " . فقد روى الحاكم في مستدركه فقال : حدثنا أبو جعفر محمد بن صالح بن هانئ ، ثنا السري بن خزيمة ، ثنا أحمد بن عبد الله بن يونس ، ثنا أبو بكر بن عياش ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله ، قال : خط رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، خطأ وخط عن يمين ذلك الخط ، وعن شماله خطأ ، ثم قال : هذا صراط ربك مستقيماً ، وهذه السبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ، قرأ " وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعِ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ " . وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ^(٨) . وقال الذهبي : صحيح . وقال الزمخشري في تفسير قوله تعالى : " وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ " الطرق المختلفة في الدين ، من اليهودية ، والنصرانية ، والمجوسية ، وسائر البدع والضلالات . " فتفرق بكم " فتفرقكم أيادي سبأ " عن سبيله " عن صراط الله المستقيم ، وهو دين الإسلام ^(٩) . وقد أورد ابن جرير رواية تفيد بأن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قرأ : " وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ " .

والكشف ج ٢ / ٨٠ ، والدر المصون ج ٣ / ١٥١ / ١٥٢ ، وفتح القدير للشوكاني ج ٢ / ١٤٢ / ١٤٣ ، وإتحاف فضلاء البشر ج ٢ / ٢٥ ، وإعراب القراءات الشواذ ج ١ / ٥٠٤ / ٥٠٥ ، ومختصر شواذ القرآن ص : ٤٥ .

(٨) أخرجه الحاكم في : كتاب التفسير ، باب قراءات النبي ، صلى الله عليه وسلم ، مما لم يخرجاه وقد صح سنده ج ٢ / ٢٣٩ .

والزمخشري في : الكشف ج ٢ / ٨٠ .

(٩) انظر : الكشف ج ٢ / ٨٠ .

وهي قراءة متواترة قرأ بها جمهور القراء ، فقال : حدثني المثني ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا حماد ، عن عاصم ، عن أبي وائل ، عن عبد الله ، قال : خطّ لنا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يوماً خطاً ، فقال : " هذا سبيل الله " ثم خط عن يمين ذلك الخطّ وعن شماله خطوطاً ، فقال : هذه سُبُل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها " ثم قرأ هذه الآية : " وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله " (١٠) .

٢٨ - قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعْبًا ﴾ (١٣)

القراءة : اختلف القراء في قوله تعالى : " فَرَّقُوا " هنا وفي سورة الروم / ٣٢ " من الذين فَرَّقُوا دينهم وكانوا شِعْبًا " . فقرأ ، علي ، رضي الله عنه ، وحمزة ، والكسائي ، " فارقوا " هنا وفي الروم بألف بعد الفاء ، وتخفيف الراء ، وقرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، والباقون " فَرَّقُوا " بتشديد الراء من غير ألف ، وقرأ إبراهيم ، والأعمش ، وأبو صالح " فرقوا " بتخفيف الراء من غير ألف (١١) . وقال مكّي : وقد روى أبو هريرة أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، كان يقرأ " فارقوا " بألف بعد الفاء وتخفيف الراء ، وكذلك قرأ علي بن أبي طالب ، وكان يقول : ما فرقوه ولكن فارقوه (١٢) . وقال القرطبي : وروى ليث بن أبي سليم ، عن طاوس ، عن أبي

(١٠) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٨ / ١١٧ رقم ١١٠٢٦ .

(١١) انظر : السبعة ص : ٢٧٤ ، والكشف ج ١ / ٤٥٨ ، ومعاني القرآن للقراء ج ٢ / ٣٢٥ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ج ٤ / ١٨٥ / ١٨٦ ، والنشر في القراءات العشر ج ٣ / ٦٩ ، وإعراب القراءات الشواذ ج ١ / ٥٢٦ / ٥٢٧ ، والتيسير ص : ٨٩ ، وتفسير البحر المحيط ج ٤ / ٢٦٠ ، ومعاني القرآن للأخفش ج ٢ / ٢٩١ ، والكنز في القراءات العشر ص : ١٥٧ ، وإتحاف فضلاء البشر ج ٢ / ٣٩ ، والمحرد الوجيز ج ٢ / ٣٦٧ ، وزاد المسير ج ٣ / ١٥٨ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٧ / ١٤٩ .

(١٢) انظر : الكشف ج ١ / ٤٥٨ .

هريرة، أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قرأ: "إن الذين فارقوا دينهم" (١٣).
قلت: إذن القراءة المروية عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قد قرأ بها حمزة، والكسائي، على الرغم من ضعف سند الرواية الموجودة هنا بحذف سند الرواية الأولى، وضعف ليث بن أبي سليم في الثانية.
التوجيه والتفسير: فمن قرأ "فرّقوا" بالتشديد من غير ألف أراد أنهم آمنوا ببعض، وكفروا ببعض، ففرّقوا إيمانهم ودينهم، وقد قال عنهم: "وما تفرّق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة" [سورة البينة / ٤]. وقال: "ويريدون أن يفرّقوا بين الله ورسله" [سورة النساء / ١٥٠]. ومن قرأ "فارقوا" بألف وبتخفيف الراء من المفارقة، والفراق، على أنهم تركوا دينهم وفارقوه، وكان عليّ، رضي الله عنه، يقول: والله ما فرّقوه ولكن فارقوه. وقال مكّي: فالقراءتان متقاربتان، لأن من فارق الإيمان فقد بان منه. وقال أبو حيان: "فارقوا" هنا وفي الروم بألف ومعناها قريب من قراءة باقي السبع بالتشديد، تقول: "ضاعف" و"ضعّف"، وقيل: تركوه وباينوه ومن فرق دينه فأمن ببعض وكفر ببعض فقد فارق دينه المطلوب منه. وقال الفراء بعد ما أورد القراءتين: وكل وجه.

وقد اختلف المفسرون في المشار إليهم، إلى أربعة قوال:

أحدها: أنهم أهل البدع والضلالة. فقد روى أبو هريرة، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، في هذه الآية: "إن الذين فارقوا دينهم" هم أهل البدع والشبهات، وأهل الضلالة من هذه الأمة.

والثاني: أنهم اليهود والنصارى، قاله ابن عباس، والضحاك، ومجاهد، وقتادة، والسدي.

(١٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٧/ ٩٠.

والثالث : اليهود ، قاله مجاهد .

والرابع : جميع المشركين ، قاله الحسن ، فعلى هذا القول " دينهم " : الكفر الذي يعتقدونه ديناً وعلى ما قبله ، دينهم : الذي أمرهم الله به .
وقيل : عني بهم المشركين ، عبد بعضهم الصنم ، وبعضهم الملائكة . وقيل الآية عامة في جميع الكفار^(١٤) .

(١٤) انظر : الكشف ج ١ / ٤٥٨ ، ومعاني القرآن للأخفش ج ٢ / ٢٩١ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ج ٤ / ١٨٥ / ١٨٦ ، ومعاني القرآن للفراء ج ١ / ٣٦٦ / ج ٢ / ٣٢٥ ، وأعراب القراءات الشواذ ج ١ / ٥٢٦ / ٥٢٧ ، وتفسير البحر المحيط ج ٤ / ٢٦٠ ، والمحزر الوجيز ج ٢ / ٣٦٧ ، وزاد المسير ج ٣ / ١٥٨ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٧ / ١٤٩ .